

أثر السياسة اللغوية السليمة والسياسة التعليمية الفعالة في نجاعة الاستثمار اللغوي¹.

توطئة:

لقد أصبحت اللغة عاملا فاصلا في حياة الأفراد والمجتمعات، وليس ذلك على مستوى التواصل فحسب، بل في سياق بناء الاستراتيجيات المختلفة سياسية كانت أو اقتصادية أو اجتماعية، حيث صارت اللغة أكثر من أي وقت مضى دليلا على النفوذ في كافة المستويات. وعليه أصبح ضروريا، الاستثمار فيها.

تشكل السياسة اللغوية السليمة والسياسة التعليمية الفعالة مدخلين أساسيين للاستثمار اللغوي الناجع، إذ يستحيل أن يكون كذلك ما لم يؤخذ بهذين السياستين مأخذ الجد. فالاهتمام بوضع السياسات اللغوية والتخطيط لها، كان دوما عملا استراتيجيا، دأبت عليه القوى العظمى في هذا العالم وانطلاقا منها تجسدت موازين القوى، فاستطاعت أن تتحكم في النظام العالمي على كافة المستويات، السياسية، الاقتصادية، الثقافية، والأمثلة الحية مجسدة في نطاق تأثير الإنجليزية والفرنسية والإسبانية خاصة... لذلك من الواجب على الدول السائرة في طريق النمو أن تعتمد سياسات لغوية ناجعة، تجسد هويتها واستقلالها وتكفل لها وجودها، وانسجامها من جهة وتسمح لها بالتفتح على العالم ومسايرته من جهة أخرى.

¹ أ.د/ مجاهد ميمون؛ قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة سعيدة.

أما الاهتمام بالسياسة التعليمية، والبحث في الآليات التي تجعلها أكثر فعالية، فهو حتما المنطلق الذي يؤسس للاستثمار اللغوي السليم، إذ لا يمكن تصور ذلك خارج هذا الإطار. والدول التي اهتمت بنظامها التعليمي، وأولت الاستثمار في لغاتها اهتماما خاصا استطاعت أن تصل إلى نتائج ممتازة انعكست إيجابا على كل مناحي الحياة فيها....

من هذا المنطلق يمكن القول أن المهمة الملقة على عاتق الدولة أساسية، لأنها وحدها تستطيع تجسيد هذين السياستين بالصورة الفعالة كونها تتحكم في الوسائل والآليات التي تسمح بذلك، وذلك كله حتما سيساهم في الاستثمار اللغوي الناجع.....

1- الاستثمار اللغوي واقتصاد المعرفة:

المعروف أن العصر عصر سوق ومنافسة واستثمار بكل ما تحمله هذه الكلمة الأخيرة من معنى إذ هي "تخصيص رأسمال للحصول على وسائل إنتاجية جديدة، أو لتطوير الوسائل الموجودة لغاية زيادة الطاقة الإنتاجية¹ " وذلك في كل المجالات. فلا حديث اليوم إلا عن المردودية والفاعلية والنجاعة. ولا سلطة إلا لمن يسيطر على الأسواق ولا صوت طاع إلا أصوات البورصات، هبوطها، صعودها. جميع الأشياء صارت سلعة تباع وتشترى. وصار مصطلح "المنتوج" الكلمة الطاغية في جميع القطاعات. فبعد أن كنا نسمع منتوجا صناعيا وزراعيا، أصبحنا نسمع المنتوج الثقافي والأدبي والعلمي وهكذا. وفي ظل زيادة الاهتمام باقتصاد المعرفة، أصبحت اللغة في الخطوط الأمامية، كونها الحامل المادي للمنتوجات جميعها ومغلفها الجاذب. الأكثر من ذلك أصبحت اللغة في حد ذاتها منتوجا وأصبح الاستثمار فيها ضروريا. فلا تصدر المنتوجات في جميع

¹ - علي الفضل، الاستثمار والتنمية البشرية، ينايبع العدد 26 رمضان - شوال 1429 ص116.

القطاعات بالصورة الناجعة الفاعلة إلا بها. من ها هنا أصبح للغة الأهمية الكبرى في بناء الاستراتيجيات والسياسات باختلاف قطاعاتها..

إن الدول الكبرى تفتنت لهذه القيمة، وبدأ العالم في ظل العولمة اللغوية يشهد صراعا سلاحه اللغات، لا بقاء فيه إلا للغات القوية "إن العولمة اللغوية تعمل على دحر اللغات المتخلفة، ولا تعد إلا باللغة الأقوى واللغات المنتجة للعلم، باعتبار اللغة تحيا حين تنتج العلم وتزدهر به..."¹، وأصبحت الملايير تصرف لأجل تطوير وترقية وتصدير هذا المنتج الذي لا ينضب، والذي لا يحيا إلا باستعماله الوظيفي المتواصل الفعال الناجع، وأصبحت التكتلات تعتمد على أساس اللغة. لقد صار الاستثمار في اللغة أكثر من أي وقت مضى مرادفا للدفاع عن الوجود، الدفاع عن الموقع، الإصرار على التموقع.

لقد أثبت التاريخ بما لا يدع مجالا للشك أن دولا كثيرة صنعت المعجزات بالاعتماد على لغاتها والاستثمار فيها، والكثير من الدول الآسيوية مثال حي لذلك، كونها فهمت ووعت أنه لا تقدم ولا رقي ولا ازدهار فكري واقتصادي إلا باللغة الأم. لعل ارتباط اللغة بحركات التقدم والرقي عموما، جعل الكثير من الدارسين يرجع سبب نهضة اليابان إلى الحفاظ على لغتها، والاعتماد عليها في نظمها التعليمية، باعتبار اللغة وعاء للثقافة والفكر والمعرفة، ووسيلة للنهضة والتنمية

¹ - صالح بلعيد .. هموم اللغة العربية في ظل العولمة. محاضرات الملتقى الدولي للغة والعولمة، مجلة الدراسات اللغوية، مختبر الدراسات اللغوية، جامعة قسنطينة. العدد الثامن 2013 . ص200.

البشرية.."¹ وفي هذا البلد نجد "أن المبدعين اليابانيين يكتبون بلغتهم في مجال الأدب والعلوم ولم تكن اللغة عائقا أمامهم، لأنهم على وعي كامل بأنه لم يحصل لهم تطور وتقدم ورقي إلا بلغتهم القومية."²

إن العصر عصر اقتصاد معرفة بامتياز، واللغة الحاملة لهذا الاقتصاد التي تحسن التأقلم مع الفورة المعلوماتية وثورة عالم الاتصال، وحدها قادرة على مواكبة التغيرات الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية لذلك، فلا استثمار سليم في اللغة ما لم يؤخذ هذا الجانب بعين الاعتبار. لأن طبيعة العالم المعاصر تستوجب ذلك.

إن الاستثمار في اللغة، استثمار في اقتصاد المعرفة، وهو في الواقع استثمار حقيقي في الإنسان، إذ إنه المجسد الفعلي لهذا الاستثمار، ولا يكون ذلك إلا بتعليمه وتدريبه وبالأخص تحبيبه في لغته، وتحفيزه على الاهتمام باللغات وأهميتها. ومن ثم دفع حب الإبداع والابتكار والتجديد الدائم فيه مع تعميم ذلك، ف" إذا كان العنصر البشري صانع التنمية ومحركها ومحورها، وكان توسيع مشاركته وانخراطه بكل مكوناته أحد الشروط الضرورية لنجاح هذه التنمية وتوازنها وتكاملها، فإن إشراك كل أفراد المجتمع في إنتاج التنمية لتفعيلها والاستفادة من كل الطاقات واستغلال ما في كل فرد من قدرة على

¹ - بلقاسم منصوري - التجربة اليابانية في إحياء لغتها - عمل فرقة بحث: علوم اللغة: الأمم الحية أمم قوية بلغاتها. منشوات مختبر الممارسات اللغوية في الجزائر. جامعة تيزي وزو. 2012. ص190

² - بلقاسم منصوري - التجربة اليابانية في إحياء لغتها - عمل فرقة بحث: علوم اللغة: الأمم الحية أمم قوية بلغاتها. منشوات مختبر الممارسات اللغوية في الجزائر. جامعة تيزي وزو. 2012. ص218.

العطاء، أمر يحتاج إلى تعميم الوعي والمعرفة وتوزيعهما بشكل واسع، أي إلى خلق مجتمع حقيقي للمعرفة.¹

2- السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي، الماهية والأهمية:

لقد حظيت السياسات اللغوية والتخطيط اللغوي بأهمية كبرى على المستويات المختلفة، جهوية كانت أو وطنية أو إقليمية أو دولية، وصارت تجسد أكثر من ما مضى، إما استقلالا أو هيمنة أو تألفا أو ارتباطا بهوية. وصار من المستحيل أن نغفل أو نتغافل الوضع اللغوي في أي مجتمع كان، لما لهذا الوضع من انعكاس أكيد على سيرورة وكيان هذا المجتمع ومع التحولات الاجتماعية والفكرية والسياسية والاقتصادية التي يعرفها العالم في الفترة المعاصرة، سيصبح الاهتمام منصبا أكثر على ظاهرة التعدد اللغوي وستتلور هذه القضية أكثر في سياق الدراسات اللسانية الاجتماعية، حيث سيهتم بها الباحثون اهتماما كبيرا، وستصبح من القضايا المحورية التي سيكون البحث فيها، انطلاقا من الأهمية التي ستولى للسياسات اللغوية والتخطيط اللغوي، ودورهما في ميدان السياسة والتعليم خاصة.

إن وضع سياسة لغوية معناه البحث في الخيارات والتوجهات التي يجب أن تعتمد في تسيير وضعية تعدد لغوي في مجتمع ما، أو العمل على ترقية لغته الرسمية وتحديد الأهداف التي يراد الوصول إليها، وذلك عمل منوط بالدولة ومؤسساتها. فتكون السياسة اللغوية حينها وحسب Boyer البحث في تقديم العلاج لتسيير الظواهر التعددية، ويتعلق الأمر في هذا الميدان بتقديم مجموعة من التصورات لسياسات لغوية، انطلاقا من

¹ - عبد العلي الودغيري دور اللغة الوطنية في التنمية وتحقيق الامن الثقافي. أعمال الندوة الوطنية: أهمية التخطيط اللغوي في الجزائر: اللغات وظائفها. المجلس الأعلى للغة العربية. الجزائر 2011 ص37.

مجموعة مواصفات، بالاعتماد على تقييم التجارب السابقة أو المعمول بها؛ واقتراح مجموعة من التوجهات الممكن اعتمادها، للوصول إلى حلول ناجعة تمكن من خلق تجانس وتوافق بين اللغات المتعددة داخل المجتمع الواحد..¹

إنه وإن استعمل بعض الباحثين مصطلحي السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي للدلالة على أمر واحد، إلا أن مجموعة أخرى من الباحثين حاولت التفريق بينهما فربطت التفكير والتنظير ووضع الاستراتيجيات بالسياسة اللغوية أما التخطيط اللغوي فربطته بالتطبيق وآلياته. يقول أحد المختصين في هذا السياق: "سنطلق تسمية السياسة اللغوية على مجموعة من الاختيارات الواعية المتعلقة بالعلاقات بين اللغة/اللغات والحياة الاجتماعية، ونطلق تسمية التخطيط اللغوي على التطبيق الفعلي لسياسة لغوية بعينها، أي الانتقال إلى العمل /التطبيق"².

فالساسة من ههنا تحديد الهدف أما التخطيط فمجموعة الآليات المعتمدة لبلوغ ذلك الهدف "والتخطيط يعني به أن تكون هناك سياسة مبنية على مجموعة من التدابير التي تتخذ من أجل تنفيذ هدف معين، وهذا يعني أن مفهوم الخطة يحددها عنصران: أولهما وجود هدف أو غاية نريد الوصول إليها. وثانيهما وضع تدابير محددة ووسائل مرسومة من أجل بلوغ هذا الهدف."³

إذا كانت السياسة اللغوية هي التي ترسم التوجه والهدف والغاية نظريا فإن التخطيط اللغوي يجب أن يكون تدخلات على اللغة بوصفها بنية أو

¹ Henri Boyer –introduction a la sociolinguistique ,p18

² - لوي جان كالفي - علم الاجتماع اللغوي - ترجمة محمد يحياتن - دار القصبه للنشر 2006 ط1 ص111.

³ صالح بلعيد - دروس في اللسانيات التطبيقية مجلة اللغة الأم - دار هومة 2000 ص12

نظام لغوي، تدخلات على وظيفتها الاجتماعية أو الثقافية أو تعددها اللغوي. إن التخطيط اللغوي يتدخل وفق آليات معينة في وضع اللغة " ويفيد. .عموما مختلف أشكال التدخل التي تستهدف:

- 1 - وضع اللغة الخارجي، بمعنى معالجة وضع لغة إزاء اللغات واللهجات الموظفة معها داخل البلاد. وقد اصطلح على النوع بـ"(status planning) ..
- 2 - الوضع الداخلي للغة، بمعنى التخطيط للتحويلات التي تطرأ على اللغة نفسها، على مستوى نسقها وعلى مستوى إنتاج الأدوات التي تمكن من تنميتها. واصطلح على هذا النوع من التدخل بـ"(corpus) planning"¹.

إن الأمر المؤكد هو أن طبيعة التخطيط اللغوي تتنوع وتختلف حسب خيارات المتكلمين من مجتمع لآخر، ويذهب Calvet إلى أنه "يمكن لسياسة ما أن تعطي الطابع الرسمي للغة ما، أو إعادة بعث لغة قليلة الاستعمال، كما يمكن للتخطيط اللغوي وضع اختياره على تنوع من تنوعات لغة ما."²

إن خصوصيات كل مجتمع واستحالة تشابهها كليا مع مجتمعات أخرى، فرضت استحالة وجود قواعد قارة يمكن أن تطبق في كل المجتمعات، إذ من غير الممكن أن نخضع قواعد نظرية لتخطيط لغوي معين من مجتمع ما وننقلها لتطبيقها في مجتمع آخر، لا شيء إلا لأن المعطيات تختلف من مجتمع لآخر.

من هذا المنطلق أصبح التخطيط اللغوي مجالا أساسيا من مجالات البحث في الدراسات اللسانية الاجتماعية وزاد في الاهتمام بهذا المجال

¹ - أمينة إبراهيمي - وضع اللغة العربية بالمغرب - وصف ورصد وتخطيط، مطبعة الأمنية. الرباط 2000. ص57.

² . Louis Jean Calvet- la guerre des langues -Hachette litteratures,1999,p158

ظهور مشاكل داخل بعض المجتمعات حتى المتقدمة منها في الفترة الأخيرة بسبب عدم رسم استراتيجيات لغوية سليمة. تسببت بعض الأحيان في تقويض وحدة مجتمعات عرفت بوحدتها إلى فترة قريبة. والأكد أن كل الدول صارت تعنى بهذا المجال وحتى المنظمات العالمية الكبرى أصبحت ترصد الأموال الطائلة للبحث فيه. لذلك "في السنوات الأخيرة، أصبحت منظمات عالمية تهتم بوضع خطط ومناهج لغوية تخصص لوضعها وتنفيذها اعتمادات مالية مهمة، وتكلف مجموعات من المتخصصين والباحثين بوضع مشاريع لذلك".¹

بقي أن نشير أن هذا التخطيط في أي مجتمع إنما يعتمد على محصلة نتائج الدراسات اللغوية العلمية النظرية والتطبيقية، المستوحاة من اللسانيات واللسانيات الاجتماعية واللسانيات التطبيقية، ليجسد في آخر المطاف في شكل برامج وخطط قابلة للتنفيذ. لذلك يرى أحد المختصين في هذا المجال وهو "أن التخطيط اللغوي هو مجموعة من المحاولات والجهود الواعية والمنظمة لحل مشاكل اللغة".²

وعليه فمن الواجب أن تسند مهمة القيام به، وتنفيذ آلياته إلى المختصين في هذا المجال، مع ضرورة الأخذ بعين الاعتبار طابع تعدد التخصصات التي يتسم بها وكذا تكاملها. كما أنه يجب التيقن بأن التخطيط اللغوي إنما هو جهد صريح ومنهجي لمعالجة مشاكل لغوية وفق حلول مقترحة تجسد فعلياً بمساعدة الهيئات الرسمية داخل مجتمع ما وهذا الجهد يجب أن يجيب على مجموعة من الانشغالات المختلفة، والأكد أن الاعتبار السياسية والاجتماعية والاقتصادية هي التي تؤخذ بعين

¹ المصطفى بن عبد الله بوشوك. تعليم وتعلم اللغة لعربية وثقافتها - مطبعة النجاح الجديدة ط3 2000 ص98.

² -Jean Garmadi-la sociolinguistique- puf,1981,p187

الاعتبار، أكثر من الاعتبارات اللغوية عندما يتعلق الأمر بالتخطيط اللغوي؛ لأن غاياته في أغلب الأحيان هي ذات طابع سياسي واقتصادي أو اجتماعي وما اللغة سوى وسيلة لبلوغ هذه الغايات.

نستنتج إذن أن التعاريف المختلفة للتخطيط اللساني تربطه بمجموعة من المشاريع والبرامج اللسانية الواجب تجسيدها على أرض الواقع والتي يستحيل تطبيقها خارج إطار الدولة التي تمتلك القرار والإمكانات. معنى ذلك أنه "لكي لا تتوقف أي سياسة لسانية - شأنها شأن أي سياسة: اقتصادية أو تربوية أو صحية - عند مستوى التصريحات فقط، وتتعدى ذلك إلى التجسيد؛ يجب أن تضع مجموعة من الآليات والاحتياطات. بذلك نمر إلى مستوى آخر، مستوى التدخل الفعلي حينها فقط يمكن أن نتحدث عن التخطيط اللساني".¹ وعليه نقول إن السياسة اللسانية، والتخطيط اللساني لن يتعديا التنظير ما لم يتم تجسيدهما على أرض الواقع، وبصورة تعكس تنظيما صارما، على مستوى الأدوات والتطبيق.

3- دور السياسة اللغوية الحكيمة والتخطيط اللغوي في نجاعة الاستثمار اللغوي:

إن مسحاً بسيطاً للواقع اللغوي في الجزائر يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن الجزائر متعددة اللغات، وهذا التعدد له تداعياته خاصة على مستوى اتصال هذه اللغات، فكل لغة تتأثر باللغات الأخرى، وبقدر ما يكون التأثير كبيرا بقدر ما ينتج مظاهر تواصل جديدة تستمد دعما منها من هذا التعدد.

لكن الأمر الملفت للانتباه هو أن الوعي بهذا التأثير المتبادل لا يزال محدودا، بحيث لا نحس الاستثمار السليم في هذه الظاهرة، بل

¹. Henri Boyer –introduction a la sociolinguistique, p77.

بالعكس نحس اختلالات واضحة، يجسدها ضعف قاعدي ونفور واضح سببه السياسات العشوائية غير الواضحة والتخطيط الارتجالي. واللغة العربية هي التي تأثرت سلبا بهذا الغموض. وصارت التحديات على عاتقها أكبر لدرجة أنها صارت لا تواكب التحولات الفكرية والاقتصادية والسياسية التي يعيشها العالم. نتيجة غياب سياسة لغوية وتخطيط لغوي ناجعين إضافة إلى مساهمة الواقع السياسي، والاقتصادي، والفكري والعلمي المتردي في زيادة تهميشها.

إن الواقع السياسي الذي تعيشه الجزائر لم ولن يسمح في أي حال من الأحوال من ترقية اللغة العربية واللغات الأخرى، ذلك لعدم وجود إستراتيجية واضحة لتجسيد سياسة لغوية ناجعة، وعدم الاعتماد على آليات التخطيط الفعالة التي تسمح بخلق مناخ لغوي سليم تشكل اللغة العربية القاطرة الأساسية فيه. لأن اللغة العربية استعملت ولا زالت تستعمل فقط كشعار أجوف لا غير. بل أكثر من ذلك كان ساستنا ولا يزالون أول من يسيئون إلى اللغة الرسمية - والخطير- في سياقات دولية يفترض أن تكون لسان حالهم.

كذلك الواقع الاقتصادي التبعي المبني على أساس الاستهلاك يجعل اللغة العربية لغة في الهامش، خاصة عندما نتحسس ما يستعمل من زخم مصطلحي كبير جدا في مختلف الجوانب الاقتصادية خاصة المرتبطة بكل ما هو مستورد. وحتى ما هو محلي يساهم بصورة غير مباشرة بالتشهير للغات أجنبية خاصة الفرنسية والإنجليزية.

إن أغلب دول العالم قد وعت أن المدخل الأساسي لبلوغ التقدم والازدهار العلمي والفكري إنما يكون عبر وضع سياسة لغوية سليمة وتخطيط لغوي ناجع "إن اللغة العربية تواجهها عدة تحديات، فعلى التخطيط

اللغوي العمل لإزالة هذه العوائق والتحديات ولكي يؤتى التخطيط أكله، وتجنّى ثماره، عليه أن يدعم بسياسة لغوية من قبل الدولة، أو من الحكومة الوطنية، تعمل على تنفيذ هذا التخطيط، ودعم توصياته.¹ ولا بدّ للدول العربية عامة والجزائر خاصة أن تعطي الاهتمام الأكبر لهذا المجال، مع ضرورة التشبث باللغة العربية كلغة جامعة كونها لسان هويتها الأساسية وعنوان موروثها الثقافي للوقوف في وجه ضربات العولمة المتتالية لأنّ العولمة تجد طريقها في مجتمعات مفرغة من الأصالة والجذور التاريخية، لأنّ المخزون الثقافي لهذه المجموعات ضحل ولا يمكنه تسخير الفكر العالمي لمصلحته القومية أي تفعيل موروثه الثقافي بأدوات معرفية أكثر جدة....² فعلياً أن نكون قدر موروثنا ومخزوننا الذي صنع حضارة عظيمة.

إن اعتماد سياسة لغوية حكيمة وواضحة المعالم وتخطيط لغوي سليم مبني على أسس علمية وحدهما كفيلاً بخلق مناخ مناسب يساعد اللغة العربية بالدرجة الأولى على أن تكون لغة جاذبة ضمن واقع التعدد، ثم إن الاستثمار السليم لهذه الظاهرة، هو التعامل مع هذا التعدد بحيث يجسد التكامل الذي يكفل تجانس الأمة ووحدتها، وذلك بتفادي تهميش أي لغة منها، والعمل الدائم على ترقية دور كل منها بحيث تقوم بالدور الوظيفي في المجال المنوط بها، ثم العمل الدائم على جعلها تعيش حالات التعايش بعيداً عن الصراعات التي من شأنها أن تقوض وحدة هذا

¹ — محمد حراث. التخطيط للغة العربية، الواقع والأفاق. أعمال الندوة الوطنية: أهمية التخطيط اللغوي في الجزائر: اللغات وظائفها. منشورات المجلس الأعلى للغة العربية. الجزائر. 2012. ص173.

² — مها خير بك ناصر. اللغة العربية والعولمة في ضوء النحو العربي والمنطق. مجلة التراث العربي منشورات اتحاد الكتاب العرب (العدد 108) دمشق: 2007. ص117

الوطن. وفي هذا الصدد يرى بعضهم أنَّ " حركية اللغة العربية وحيويتها مرتبطة بكيفية تدبير المسألة اللغوية من الداخل والخارج، أي البحث عن التوازنات اللغوية التي تجعل اللغة العربية في المركز الأول الذي يدعم باستثمار الازدواجية والتعددية الاستثمار الأمثل، ويؤسس للسلم اللغوي المبني على سياسة لغوية واعية وهادفة، وتخطيط لغوي محكم، واستعداد لغوي داخلي وخارجي يجعل العربية لغة المعرفة التكنولوجية ولغة التنمية " ¹.

إن التخطيط اللغوي السليم يمر عبر استثمار آلياته بشكل واع وفعال، ولعل أكبر تحد يكمن في خلق المحيط اللغوي الذي يسمح للعربية من دخول بيوت وعقول وقلوب المواطنين من خلال الإشهار المدروس غير المبتذل، والملصقات الجميلة، ومغلفات السلع الجذابة، وواجهات المحلات والمؤسسات الخاصة والعمومية ووسائل النقل، والمدارس ورياض الأطفال، وغيرها.

إن القانون آلية أساسية في تجسيد السياسة اللغوية والتخطيط لها، وعليه لا يجب التسامح مع الذين يحاولون الدوس على الحق الدستوري المكفول للغة العربية، وحث الساسة على الحديث باللغة العربية في المحافل الرسمية.

المعروف أن الإعلام سلاح أساسي في يد تجسيد السياسات اللغوية والتخطيط لها، وهو آلية مهمة من آليات التخطيط اللغوي، لذلك من الواجب على إعلامييننا إعطاء الأهمية الكبرى للاستثمار في اللغة الرسمية، بطريقة تمكنها من مسايرة المستجدات التي تحدث في العالم.

¹ - عبد الرحمن يحيوي، تنمية اللغة ولغة التنمية في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات الدوحة ديسمبر 2111 ص3.

"إنّ تعميم العربية باعتبارها لغة التواصل الملائمة لدى القوى العاملة التي ستمكن من الزيادة في سرعة التنفيذ والإنتاج، بل إنّ تعزيز العربية في الإدارة والاقتصاد والاتصال والتكنولوجيا شرط ضروري للنمو الاقتصادي والتنمية الاجتماعية وإن استعملت العربية بصورة ملائمة في تقنيات العالم الجديدة ستمكن من اتساع مجالها ودمقرطتها¹."

4 - السياسة التعليمية، الغايات والأهداف:

شأنها شأن جميع السياسات القطاعية في بلد ما، ترتبط السياسة التعليمية أشد الارتباط بالسياسة العامة للدولة، وتمثل الجانب الجوهري لتجسيدها على أرض الواقع، كما تمثل القاطرة الأساسية للسياسات الأخرى التي تتكامل معها، وتساهم في تجسيد برامجها، نظرا لما تكتسيه من أهمية كبيرة في بناء الإنسان والاستثمار فيه بتهيئته وتنشئته، حتى يكون عضوا فعالا. وتتحدد أهدافها تبعا لأهداف السياسة العامة، وتبعا لخصوصيات المجتمع، احتياجاته، ثقافته، وتقاليده، مشاريعه. وتستند السياسة التعليمية على مبدأ العدالة، وتكافؤ الفرص، انطلاقا من أن التعليم حق لكل مواطن، وأن المدرسة، هي الدعامه الأساسية لها باعتبارها مؤسسة تربوية اجتماعية، ترسم العلاقة بينها وبين المجتمع.

إن السياسة التعليمية هي مجموع التصورات ذات الصلة بالخطوط العريضة والعناوين الأساسية للسياسة العامة التي من شأنها تجسيد المشاريع التربوية والتعليمية في بلد ما والتي يرسمها الساسة والقائمون على الدولة، تناسبا مع الخط الأساسي لفلسفتها، ومشروع مجتمعتها."

¹ الفاسي الفهري، اللغة العربية، أسئلة التطور الذاتي والمستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية ط 1، 2005 ص15

هي مجموع القواعد والمبادئ العامة التي تضعها الدولة لتنظيم وتوجيه التعليم فيها بما يخدم أهدافها العامة ومصلحتها الوطنية".¹ لكنها لا تتجسد على أرض الواقع إلا بالاتكاء على تخطيط محكم يرسمه المختصون ويعملون على تطبيقه على أرض الواقع.

مع عصر العولمة وعصر الصراعات الإستراتيجية المحمومة أصبحت السياسات التعليمية تكتسي أهمية قصوى، باعتبارها القاعدة الأساسية لتهيئة العنصر البشري صانع السياسة والاقتصاد والثقافة والفكر. كما أصبحت السياسة الأكثر حساسية بين جميع السياسات، كونها المجسد الفعلي لمدى نجاح السياسة العامة أو فشلها على أرض الواقع. والدول التي وفقت في سياساتها التعليمية استطاعت أن تصمد أمام كل التحولات والمتغيرات التي يشهدها العالم. لأنها استطاعت الاستثمار السليم في الإنسان عندها وبالتالي تمكنت من بلوغ نتائج جبارة في جميع القطاعات الأساسية من اقتصاد وسياسة وثقافة وفكر. لذلك يستحيل تجسيد سياسة تعليمية فعالة دون ساسة أقوىاء يمتلكون رصيذا فكريا متكاملا، نابعا من معرفة جيدة لخصوصيات مجتمعاتهم، ثقافاتهما، وتطلعاتهما من جهة، ووعي بالتغيرات والتحولات التي يشهدها العالم في مختلف المجالات.

يشكل اختيار لغات التعليم بعدا وخيارا إستراتيجيا مهما في السياسة عامة وفي السياسات التعليمية خاصة، ومن هنا أصبح السياسة اللغوية شديدة الصلة بالسياسة التعليمية متكاملة، متداخلة معها. فإذا كان ترسيم اللغة أو جعلها وطنية انطلاقا من كونها عنوان هوية وثقافة

¹ - عبد العزيز البسام، نحو تطوير السياسة التربوية في الإمارات العربية المتحدة، وثيقة مقدمة إلى مؤتمر السياسة التربوية، العين أبريل 1980.

المجتمع، من مهام السياسة اللغوية، فإن السياسة التعليمية هي التي تضطلع بتجسيد هذه الخيارات على أرض الواقع وإرساء الآليات التي تمكنها من ذلك.

5- أثر السياسة التعليمية الفعالة في نجاعة الاستثمار اللغوي:

رغم الجهود الجبارة المبذولة منذ الاستقلال إلى اليوم من أجل تطبيق سياسات تعليمية ناجعة وفعالة، إلا أن النتائج التي كان يفترض أن تحقق تناسبا مع هذه الجهود قليلة بالنظر إلى معطيات كثيرة والتي من أهمها عدم فاعلية الاستثمار اللغوي وقلة نجاعته، على الأقل عندما يتعلق الأمر باللغة العربية والاستثمار فيها كحامل مادي لاقتصاد المعرفة في بلادنا.

لقد أعطى واضعو السياسات التعليمية في بلادنا دوما أهمية كبيرة لتعليم اللغة العربية وتعليم اللغات نظريا، لكن الواقع يعكس انتكاسات وتجاوزات كانت العربية دوما ضحيته. وتشريح بسيط وصادق لواقع تعليم اللغة العربية يعكس خيبات أمل كبيرة، يجسدها نفور غريب منها واستخفاف بها. وزاد في تعقيد ذلك واقع فكري وعلمي لا يرقى إلى المستوى المطلوب. أقل ما يقال عنه أنه واقع مزري رغم كل الخطابات السطحية التي تحاول أن تصوره على أنه على أحسن ما يرام، والمدرسة والجامعة وما يعيشانه من تجارب غامضة دليل واضح على هذا الواقع. والملاحظ أنه حتى في هذه السياقات الفكرية والعلمية التعليمية لا زال الإيديولوجي يطفئ على الأكاديمي والفكري والبيداغوجي. والدليل الواضح سياسة التعريب المجتزأة التي طبقت ولم يلتزم بها لا في إدارتنا ولا في منابرنا الرسمية.

إن أموالا طائلة صرفت ولا زالت تصرف على تعليم اللغات الأجنبية أيضا، لكن النتائج المرجوة من ذلك، بعيدة كل البعد عن المطلوب.

لغياب سياسة تعليمية واضحة، وغايات غير واضحة. إذ لا نتلمس تأثير ذلك إن على واقعنا المعرفي أو الاقتصادي.

إن جميع السياسات التعليمية في العالم، جعلت غاياتها الأساسية الاستثمار في اقتصاد المعرفة، لذلك جعلت اهتماماتها الأساسية منصبة على الحامل المادي لهذا الاقتصاد والمتمثل في اللغات، فركزت على الاستثمار الأساسي في لغاتها، واعية بأن جميع الدول المتقدمة لم تبلغ ما بلغته إلا بفضل لغاتها، ولم تصنع لنفسها موقعا، إلا بتقوية لغاتها، إضافة إلى الانفتاح على اللغات الأخرى.

من هذا المنطلق يجب التركيز في سياستنا التعليمية على الاستثمار السليم غير السطحي في اللغة العربية انطلاقا من وضع إستراتيجية تعليمية متكاملة، يكون فيها تعليم اللغة العربية محوريا، لكن وفق آليات وطرق ومناهج معاصرة، بعيدة عن الرتابة، تأخذ بعين الاعتبار عقلية المتعلم ومحيطه العالمي المتطور. بحيث تدفعه إلى احتضانها وحبها وعدم النفور منها، تتكئ على المعلوماتية وعلم الاتصال، تكون الغاية منها الوصول إلى تهيئة ملامح متعلمين قادرين على التأقلم مع واقع تفرضه العولمة بلغة عربية وظيفية معلوماتية.

إن العصر عصر معلوماتية وتواصل سريعين، واللغات التي تتحكم في هذين المنظومتين تستطيع التأقلم بسرعة مع واقع اقتصاد المعرفة ومتطلبات العولمة، وعليه فاستثمار اللغة العربية في هذين المجالين ضرورة ملحة، حتى تستطيع مسايرة مستجدات العصر وتغييراته، والمدرسة يجب أن تكون الحاضن الأساسي الأول لذلك، إذ بذلك وحده يمكن للتلميذ الجزائري أن يصبح طاقة حيوية، يساهم في رفع التحدي الاقتصادي والمعرفي.

إن الأساس لرد الهيبة للغة العربية داخليا هو التركيز على العمل القاعدي من خلال تقديم تشخيص صريح لواقع اللغة العربية في المدرسة الجزائرية لأن ذلك وحده كفيل بإعطاء علاج شاف لهذه المشكلة، مع اعتماد الصدقية، وقبول النقد والانطلاق من النقد الذاتي. ووضع كل الوسائل والإمكانيات للمرحلة التحضيرية خاصة والمراحل التعليمية الأولى للمدرسة الجزائرية. من خلال التركيز على التكوين الجدي للمؤطرين وتأهيلهم الإجباري على التحكم في أساسيات المعلوماتية، والقضاء على ظاهرة الاكتظاظ، وإعادة النظر في البرامج التعليمية لكل المراحل وفي منشورات الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية وإسناد المهمة إلى متخصصين فاعلين مع ضرورة الأخذ بعين الاعتبار أهمية تداخل الأنشطة وتداخلها في صياغة أي فعل تعليمي. كذلك تجنب طغيان العمل الإداري على البيداغوجي مع ضرورة تعليم العلوم باللغة العربية ودفع التلاميذ إلى تعلم وإتقان لغة أجنبية على الأقل في نفس الوقت، وقد أثبتت الدراسات أن تدريس العلوم باللغة الأم مع إتقان لغة أجنبية يكون أكثر فعالية من دراستها بلغة أجنبية.

إن الأمر الأكيد هو أن الجامعة الجزائرية عبر مؤسسات البحث والتطوير وفيها، ومؤسسات التوثيق العلمي وشبكات نقل المعلومات ومؤسسات الترجمة يجب أن تطلع بالدور الأبرز لتبوء العربية المكانة المنوطة بها وذلك بإعطائها دورا أكبر في عملية التوثيق والإعلام العلمي إضافة إلى برامج التوعية العلمية، لذلك فاستاذ التعليم العالي يقع على عاتقه العبء الأكبر، وفي هذا الصدد ينبغي الكف عن التشدد بماضي اللغة العربية، والتباكي عليها، والانتقال إلى البحث والعمل على غرار ما يقوم به باحثو اللغات الأخرى، وبذل جهد أكبر خاصة في مشاريع البحوث المتخصصة.

إن سياسة تعليم اللغات الأجنبية في الجزائر يجب أن تكون مدروسة بحيث لا تكون العربية ضحية، خاصة فيما يتعلق باختيار اللغات الأنجع وفي المراحل الأنسب. مع ضرورة إعادة النظر في المساهمات الجارية لتطوير لغات الغير خاصة فيما يعرف بمدارس الدكتوراه، والحرص أن تكون دائما اللغة العربية طرفا أساسيا في هذه المعادلات. والتفكير في آليات جديدة لاعتمادها كلفة تخصص في المجالات التقنية والطبية والاقتصادية وغيرها على غرار ما هو معتمد في ترقية بعض اللغات كالفرنسية والإنجليزية والإسبانية.

الخاتمة:

إن التحديات التي تنتظر بلادنا كبيرة جدا، خاصة تلك المتعلقة بالتموقع اقتصاديا ومعرفيا في عالم تحكمه العولمة والصراعات الإستراتيجية، لذلك نرى أن التشريح الصادق لواقعنا وحده كفيل بأن يقوم مسارنا ويجعلنا نسلك الطريق السليم لبلوغ مبتغانا. وعلى الجميع أن يتأكد أننا لن نبلغ مصاف الدول الراقية والمزدهرة ما لم نستثمر في اللغة العربية بالشكل السليم، إذ لا دولة في العالم بلغت رقيا وازدهارا دون الاستثمار في لغتها، ونظن أن ذلك يمر حتما عبر رسم سياسة لغوية سليمة، وسياسة تعليمية فعالة.

المصادر والمراجع المعتمدة في البحث:

1. مراجع باللغة العربية:

- أمينة إبراهيمي - وضع اللغة العربية بالمغرب - وصف ورصد وتخطيط، مطبعة الأمنية. الرباط 2000.
- بلقاسم منصوري - التجربة اليابانية في إحياء لغتها - عمل فرقة بحث: علوم اللغة: الامم الحية أمم قوية بلغاتها. منشوات مختبر الممارسات اللغوية في الجزائر. جامعة تيزي وزو. 2012
- صالح بلعيد - دروس في اللسانيات التطبيقية مجلة اللغة الأم - دار هومة 2000.

- صالح بلعيد -هموم اللغة العربية في ظل العولمة- محاضرات الملتقى الدولي للغة والعولمة، مجلة الدراسات اللغوية، مختبر الدراسات اللغوية، جامعة قسنطينة. العدد الثامن 2013.
- عبد الرحمن يجيوي، تنمية اللغة ولغة التنمية في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات الدوحة ديسمبر 2111.
- عبد العزيز البسام، نحو تطوير السياسة التربوية في الإمارات العربية المتحدة، وثيقة مقدمة إلى مؤتمر السياسة التربوية، العين أبريل 1980.
- عبد العلي الودغيري - دور اللغة الوطنية في التنمية وتحقيق الامن الثقافي. أعمال الندوة الوطنية: أهمية التخطيط اللغوي في الجزائر: اللغات وظائفها. منشورات المجلس الأعلى للغة العربية. الجزائر 2012.
- علي الفضل، الاستثمار والتنمية البشرية، يناير العدد 26 رمضان - شوال 1429.
- الفاسي الفهري، اللغة العربية، أسئلة التطور الذاتي والمستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية ط 1، 2005.
- لوي جان كالفي - علم الاجتماع اللغوي - ترجمة محمد يحياتن - دار القصة للنشر 2006 ط 1
- محمد حراث. التخطيط للغة العربية، الواقع والآفاق. أعمال الندوة الوطنية: أهمية التخطيط اللغوي في الجزائر: اللغات وظائفها. منشورات المجلس الأعلى للغة العربية. الجزائر 2012.
- المصطفى بن عبد الله بوشوك - تعليم وتعلم اللغة لعربية وثقافتها - مطبعة النجاح الجديدة ط 3 2000.
- مها خير بك ناصر. اللغة العربية والعولمة في ضوء النحو العربي والمنطق. مجلة التراث العربي منشورات اتحاد الكتاب العرب (العدد 108) دمشق: 2007.

2 - مراجع باللغة الأجنبية:

- . Louis Jean Calvet- la guerre des langues –Hachette litteratures, 1999.
- Jean Garmadi-la sociolinguistique- puf, 1981.
- PARIS Dunod 2001..Henri Boyer –introduction a la sociolinguistique .